جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

الاستهلال وأدواره الحجاجية في الخطاب السردي مقاربة تداولية في نماذج من نوادر الجاحظ

الأستاذ الدكتور

نواري سعودي أبو زيد

أستاذ اللسانيات جامعة محمد لمين دباغين ـ سطيف٢ . الجزائر

العدد الرابع والعشرون

للعام ١٤٤١هـ / ٢٠٢٠م

الجزء الثاني

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢٠م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

الاستهلال وأدواره الحجاجية في الخطاب السردي
مقاربة تداولية في نماذج من نوادر الجاحظ

نواري سعودي أبو زيد
قسم اللسانيات جامعة محمد لمين دباغين _ سطيف٢ . الجزائر
البريد الإلكتروني: No.so.z@yahoo.com

الملخص

يتناول البحث عنصرا وظيفيا في بناء النادرة التي اتخذها الجاحظ وسيلة لمعالجة ظاهرة البخل في أبعادها النفسية والاجتماعية، ألا وهو عنصر الاستهلال، وقد عالجناه وفق مقترب تداولي يشتغل على محورين أولهما الكشف عن جملة الوسائط والتقنيات الخِطابية الإقناعية في صياغة الاستهلال، وثانيهما بيان كيفيات الإذعان التي هي حصيلة تلك الوسائط والتقنيات فيه، قاصدين تحقيق أهداف أوضحها بيان أهمية الاستهلال الهيكلية والوظيفية، ودوره في بناء الحجة لتلقي مضمون القضايا، وأثره في تماسك الخطاب من خلال بيان وجوه ارتباطاته بما يليه من النص المركزي.وقد انتهينا إلى نتائج أهمها التأكيد على محورية الاستهلال عند الجاحظ في بناء نوادره، وتنويعه لأشكاله التي تسهم كلها في بناء الحجة؛ بهدف إثارة المتلقي واستقطابه لصالح القضايا المعروضة.

الكلمات المفتاحية : الاستهلال _ الحجاج _ الخطاب _ السرد .

ISSN 2356-9050 الترقيم الدولي
ISSN 2636 - 316X الترقيم الدولي الإلكتروني

حولية كلية اللغة العربية بجرجا
مجلة علمية محكمة

Initiation and its Argumentative Roles in the Narrative Discourse : A Deliberative Approach to Examples from Al-Jahez's Anecdotes (Nawader Al-Jahez)

Nouari saoudi Abozaed
Professor of Linguistics, Muhammad Lamine Debbaghine University, Setif 2 , Algeria
Email: No.so.z@yahoo.com

Abstract

The research deals with the element of initiation and its functional roles in building the Anecdoteas a traditional narrative pattern dealingwith the phenomenon of miserliness in its psychological and social dimensions. The element of initiation has been manipulated in two dimensions. The first one aims to disclose the ways of persuasive and rhetorical media and techniques in editing initiation. The second one aims to explain the modalities of acquiescence thatis the outcome of these media and techniques, intending to explain the structural and functional importance of initiation, itsrole in building the argument to receive the content of the issues, and its effect on the coherence of the discourse by explaining the faces of its connections with the following from the central text. To conclude with the following important results; emphasizing on the centrality of initiation for Al-Jahezin formulating his anecdotes, and diversification of its types that contribute to building the argument, with the aim of raising the recipient and attracting him in favor of the presented issues.

Keywords: **Initiation - Arguments - Discourse - Narration**

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن خروج اللسانيات من أسر الجملة، وتحول الممارسات النقدية البنيوية عن أغلال النص، لا يمثل مفارقة شكلية فحسب، وإن بدا أول الأمر كذلك، بل هو انتقال حركته ضرورة الانفتاح على الكون الأكبر الذي تنصهر فيه كل مكونات اللغة باعتبارها ممارسة، لا ظاهرة بشرية متعالية وخاصية إنسانية متسامية وفق ما سطره دوسوسير (De saussure)، بل بوصفها إنجازا؛ بما يعكسه فعل القول الذي تذوب فيه "اللغةُ" المعدودةُ خاصيةً اجتماعية، واللسانُ المعتبر تنميطا عقلانيا لما يجب أن يجري عليه فعل القول. وذلك الكون الأكبر هو "الخطاب" الذي تمتزج فيه كل مكونات الحدث التواصلي أيا كان شكله الذي يظهر فيه، ففيه الذات المنشئة بنواياها، والذات التي تحمل على عاتقها فعل التأويل والتعرف، بالاستناد إلى مؤشرات لغوية وأخرى غير لغوية، كل ذلك تحت إكراهات من طبيعة دلالية تداولية.

لقد أثبتت المعالجات السابقة ــ التي استبدت بها الخاصية الجزئية فشلَها؛ بحكم عدم القدرة على الإحاطة بالدلالة الحقة، فالنظرُ الذي لا يتعدى الجملة، والتحليلُ الذي يقنع بالداخل النصي، وتوهمِ استغنائه عما يقع خارجا، لم ينته إلا إلى دلالات مبتورة، ومقاصد احتمالية مظنونة، لكن سرعان ما ارتفعت تلك الغشاوة، وتعرت مقولة "موت المؤلف" التي كثيرا ما كان يحلو للبنيويين ــ إلى غاية التحولات المعرفية والمنهجية التي دخلت على البنيوية تمهيدا لما بعدها ــ تصديرُ كتاباتهم بها؛ إشعارا بمنهجهم واختصارا لأهدافهم، واستفاقت الممارسات النقدية على ضرورة العودة إلى ما يريده القارئ البسيط قبل الناقد، وهو المعنى الذي يتألف نسيجه من

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

خيوط بعضها داخلي، وبعضها الآخر خارجي، بعضها لغوي وبعضها غير لغوي، وهي دوائر من الدلالة يَركَب بعضها بعضا دون أن تغني فيها دائرة عن دائرة.

إذن هذه هي حقيقة الخطاب المُقرِبة من مقصدية المنشئ، المحدثة للملاءمة بين طرفي الخطاب. وأي ممارسة إجرائية تستهدف كيفية اشتغال منظومته ينبغي أن تضع نصب عينيها تلك الدوائر وأشكال تراكبها وآليات عملها، مهما كانت المقاربات التي تعتمدها، والمناهج التي تسخرها في التحليل. ولا شك في أن من أهم أنواع الخطاب التي تعد وضعا للغة موضع الفعل، الخطاب الأدبي، الذي سنقف في هذه الدراسة على ضرب خاص منه، وهو خطاب "النادرة" المندرج ضمن الخطاب السردي، من خلال نماذج منتقاة من كتاب البخلاء للجاحظ، متبنين في الاشتغال منهجا تداوليا، نروم من ورائه الكشف عن كيفية تسخير بنية مخصوصة في هيكل النادرة وهي بنية "الاستهلال" في إقامة صرح الحجة؛ بهدف الاستمالة للمواقف المعلنة أو الخفية من القضايا المطروحة.

مفهوم الاستهلال:

لا تكاد تختلف الدلالة الاصطلاحية لكلمة "الاستهلال" عن المعنى اللغوي سوى في كونها دلالة مخصصة[١] ــ كما هي العادة في كثير من

(١) تدور الدلالة اللغوية للاستهلال، المتكررة في أهم المعاجم العربية، على الابتداء والظهور ورفع الصوت، نحو أهل الصبي والملبي رفعا صوتيهما، والشهر واستهللناه بدأ وبدأناه، للتفصيل يراجع: علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، التعريفات، تحقيق محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، ص:٤١ وإبراهيم أنيس وآخران، المعجم الوسيط، منشورات مجمع اللغة العربية القاهرة، ومكتبة الشروق الدولية، ط٤، ٢٠٠٤م، ص: ٩٩٢.

مصطلحات العلوم والفنون ــ إذ هي تواضع في درجة أعلى[١]، أو هي تواضع بعد تواضع، على أنه تواضع ثان يؤطره مبدأ التسمية الواعية المقصودة من جهة، ومبدأ التصنيفية الداخلية للمفاهيم داخل الحقل المعرفي المخصوص من جهة ثانية[٢]، أبرز ما يطبعها نزوعها الواعي إلى تسمية المفهوم وتمييزه بخواص تحده من منطلق أول، وربط ثنائية التسمية والمفهوم بضلع الأشياء أو القضايا الموضوع لأجلها المركب التمييزي، خلاف التواضع الأول الموضوعة فيه الأسماء حيال المسميات بطريقة اعتباطية من منطلق ثان[٣].

---

(١) باعتبار أن المصطلح وحدة معجمية فرعية من مفردات اللغة، لكنها تتميز عن الوحدات اللغوية في مستوى التواضع الأول تميزا شكليا، مع النزوع المعلل. ماري ــ كلود لوم: علم المصطلح مبادئ وتقنيات، ترجمة ريما بركة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط١، ٢٠١٢م، ص: ٥٧.

(٢) عثمان بن طالب: علم المصطلح بين المعجمية وعلم الدلالة، ضمن كتاب "تأسيس القضية الاصطلاحية" بيت الحكمة، قرطاج، تونس، ١٩٨٩م، ص: ٩١.

(٣) هو مبدأ تأسست عليه اللسانيات الحديثة، ومؤداه أنه لا علاقة ضرورية ملزمة تربط بين الدال والمدلول، وما نجد من قول بضرورة الارتباط في بعض المدارس اللغوية القديمة هو ناتج عن اعتبارات دينية كما في المدرسة الهندية، أو ميتافيزيقة فلسفية كما في المدرسة اليونانية، فعلى الرغم من التسليم من حيث المبدأ العملي بالتركيبة الثلاثية للعلامة اللغوية [الدال، المدلول، الشيء المسمى] التي قامت عليها "النظرية الأسموية" لأرسطو. يراجع مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة، الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، ط١، ٢٠١٠م، ص٢٢٧. وبعضُ النظريات الدلالية فيما بعد كما في مراتب الدلالة عند الغزالي فإن دراسة اللغة وبيان وظيفتها التواصلية أوجبت الاقتصار على طرفين هما الدال والمدلول فقط على نحو مجسم دوسوسير، وإن حرص ريتشاردز وأوجدن في كتابهما معنى المعنى على الإشارة إلى المسمى في مثلث العلامة بخط متقطع حتى لا يهملوه ذكرا وليبينوا أنه ليس مكونا صميما عودة إلى مبدإ الثنائية دائما. على أن دوسوسير نفسه يشير إلى في موطن

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

أما اصطلاحا فيعد الاستهلال وجودتـــه،في عـــرف البلاغيـــين، مـــن علامات براعة المنشئ، كاتبا كان أو شاعرا، لذلك ينقل أبو هلال عن بعض الكتاب قوله "أحسنوا معاشر الكتاب الابتداءات فإنهن دلائل البيان"(١)، ويدور مفهوم المصطلح على القدرة على المواءمة بين مطالع النصـــوص وبـــين مضامينها، إذ "ينبغي للشاعر أن يحترز في أشعاره ومفتتح أقواله مما يتطير به أو يستجفى من الكلام والمخاطبات، كذكر البكاء، ووصف إقفـــار الـــديار وتشتت الألاف، ونعي الشباب.. لاســـيما فـــي التـــي تُضَـــمَنُ المـــدائح أو التهاني"(٢)، ويعود الالتفاتلأهمية الاستهلال إلى موقعه مـــن الخطـــاب فـــي علاقته بالسامع أو القارئ، فهو أول ما يقرع السمع مـــن الكـــلام، كمـــا أن المقاطع أو الأقفال هي آخر ما يستقر في الذهن، فوجب من ثـــم الاهتمـــام بهما، والحرص على المناسبة بينهما بوجه ما من المناسبة(٣)، وقد عد حازم القرطاجني أن الإحاطة بمذاهب الكلام وأغراضه، وفهم أسراره متعلقة بمـــا

آخر من محاضراته إلى أن هناك من الثروة اللغوية ما يحمل بعض التبرير، وذلك خاص بصيغ محددة، كالمركبات العددية (واحد وعشرون..)، والصيغ المحول عن الجذور (كاتب وملعب..) وغيرها، وصيغ النسب (حانوتي، ربيعي.) يراجع محاضرات في اللسانيات العامة. للتفصيل يراجع

Ferdinand De Saoussure : Cours de linguistique générale, publié par Charles Bally Sechehaye, Payet, Paris 1931 , P : 180. 181.

(١)الصناعتين، تحقيق علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة ، تحقيق محمد علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية بيروت، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م، ص: ٤٣١.

(٢)ابن طباطبا أبو الحسن محمد بن أحمد: عيار الشعر، تحقيق عباس عبد الساتر، مراجعة نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م، ص: ١٢٦، وعلى هذا سار أبو هلال العسكري في الصناعتين، ص: ٤٣١.

(٣)الصناعتين، ص: ٤٣٥.

أسماه "قوى فكرية واهتداءات خاطرية"، جعل سابعها "القوة على التَحَيُلِ في تصيير تلك العبارات ــ يقصد عبارات القول الشعري ونحوه ــ متزنة، وبناء مباديها على نهاياتها ونهاياتها على مباديها"(١).

غير أنه لابد من الإشارة إلى أن معالجتنا لبعض النوادر لن تكون من هذا المنظور الاصطلاحي البلاغي، ولن نعنى بتتبع أضربه وأشكاله لذاتها، مثلما وقفنا عليه في بعض الدراسات السابقة(٢)، بل نسعى إلى منزع تطبيقي نتتبع فيه أثر الاستهلال في بناء صرح الحجاج داخل الخطاب، وكيفية مواءمة الجاحظ بين ما يجعله بدايات لنوادره وبين المضمون من جهة، وبينهما وبين مراداته في ارتباطها بالمتلقي المؤول من جهة ثانية. وكثيرا ما رُبِطَ الاستهلالُ بالنص الشعري بحكم بنيته النوعية وحساسية نسيجه مما يقتضي من الشاعر أن يوليه عناية فائقة تجنبا لكل شرخ في بنية النص وهيكله، وكأن النص النثري متحلل من كل قيد ومتفلت من كل ضابط، ولا يعني تركيزنا على الاستهلال الادعاء بأنه العنصر الأوحدفي الخطاب، الذي هو في جوهره – من حيث كونه نصا بغض النظر عن مستوى ائتلاف لغته – رسالة إعلامية يريد لها صاحبها أن تترك أثرا فيمن يتلقاها، إما بتغيير موقف لديه، أو تعديل وجهة نظر يكون قد شكلها عن موضوع التواصل؛ باعتبار أنتصنيف النصوص يتحدد في ضوء الوظائف الغالبة أو المهيمنة

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق الحبيب بن الخوجة، الدار العربية للكتاب، تونس، ٢٠٠٨م، ص: ١٧٨.

(٢) وقفنا على مثل هذا المنحى في دراسة الباحثين إيمان محمد أحمد ربيع وعامر محمود محمد ربيع الموسومة بالبنية الاستهلالية الأصمعي أنموذجا، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، العدد ٣٩، حزيران ٢٠١٨.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

كما يرى جاكبسون في تصوره لخطاطة التواصل، وبالتأكيد فلن تنفرد وظيفة ما من تلك الوظائف بالهيمنة كليا على نص من النصوص بحيث تزيح غيرها، وإنما تشكل في امتزاجها مع بقية الوظائف تدرجات داخل نصية وقوى فاعلة تغذي بنيته الدلالية، على أن يفسح لواحدة من بينها الغلبةُ بحسب طبيعة القضايا المطروحة، وهدف المنشئ وكيفية معالجته لما يطرحه، لكن يظل للإقناع،ظاهرا كان أو مبطنا، وجود في نسيج الخطاب، يجند الكاتب لأجله جملة من الوسائل هي الأدوات الإجرائية المسخرة في الاستمالة وتحقيق مقاصد الخطاب، ولا جرم أن كان هذا مناط البيانوآية الاقتدار(١). فليست كل النصوص حجاجية بقدر ما أن في معظمها قسطا ظاهرا من الاحتجاج والضغط على المتعاطي معها، بشكل جلي أو بشكل خفي(٢).

إن تركيزنا على الاستهلال إذالا يعني بأي وجه من الوجوه الادعاءَ بأنه العنصر الفعال الوحيد في تشكيل الخطاب وأن ما سواه حشو لا دور له في الحشد للقضايا المعروضة والاستقطاب لصالحها، ولا إلغاء لبقية المكونات النصية المسهمة في إحداث الاتساق والانسجام النصيين، بقدر ما أردنا الاقتصار على أحد مكونات النسيج النصي وبيان دوره في الحمل على

(١) يقول صاحب الصناعتين: : "وقال بعض الهند جماع البلاغة البصر بالحجة، والمعرفة بمواقع الفرصة" ص: ١٥.

(٢) والجدير بالذكر أن الإقناع عامل أساسي في كل نص نثري كما أن التخييل هو العمود الفقري في النصوص الشعرية، يقول حازم: "التخييل هو قوام المعاني الشعرية، والإقناع هو قوام المعاني الخطابية" وإن رأى جواز المزاوجة هنا وهناك بقدر الحاجة "لأن الغرض في الصناعتين واحد، وهو إعمال الحيلة في إلقاء الكلام من النفوس بمحل القبول لتتأثر بمقتضاه". منهاج البلغاء، ص: ٣٢٥.

التسليم بصحة القضايا موضوع العرض والاعتراض، هذا من ناحية أولى، ولمقام الاستهلال الذي يشبه العتبة إلى حد كبير، ويلعب دور العنوان في اختصار القادم من تفاصيل الحكي من ناحية ثانية، وللأثر النفسي الذي يحدثه الاستهلال فيالمتلقي، من ناحية ثالثة؛ لأنه متى ما كان "الابتداء حسنا شريفا، ومليحا رشيقا، كان داعية إلى الاستماع لما يجيء بعده من الكلام"(١)، ناهيك أن يسهم في القبول والإذعان. لأن ملاءمة أجزاء القول بعضها لبعض دليل على سلامة الذوق واستحكام الملكة واستواء آلة البلاغة، وهو ما عناه حازم القرطاجني بقوله: "ومعرفة طرق التناسب في المسموعات والمفهومات لا يوصل إليها بشيء من علوم اللسان إلا بالعلم الكلي في ذلك وهو علم البلاغة الذي تندرج تحت تفاصيل كلياته ضروب التناسب والوضع، فيعرف حال ما خفيت به طرق الاعتبارات من ذلك بحال ما وضحت فيه طرق الاعتبار وتوجد طرقهم في جميع ذلك تترامى إلى جهة واحدة من اعتماد ما يلائم واجتناب ما ينافر"(٢)، وهي تفاصيل كليات تشتغل جميعا، ولا تقبل قضاياها التجزئة ولا الفصل، لأنها منظومة تمثل في تكاملها حقيقة الملكة.

(١) الصناعتين، ص: ٤٣٧.فالاستهلالات عامل حفز لنفس السامع وشحذ لذهنه. منهاج البلغاء، ص: ٢٧٨.

(٢) منهاج البلغاء، ص: ٢٠٢

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

السرد والتنميط الخطابي:

إذا كان قوام القصة هو الحكي، فإن السرد هو الخيط الناظم للمحكي؛ لأحداثه وشخوصه وأزمنته وأحيازه وأهدافه، وهو ما ينفي العشوائية في عملية القص، فلكل عنصر مكان معلوم، ووظيفة به منوطة، إنه بعبارة أخرى هيكل القص ومعماره الذي ينتظمه، ويجمع أجزاءه، فيؤلف بينها بكيفية يكون معها كل مكون يسلم إلى الذي بعده، في ترابط مبرر متمرد عن الاعتباطية، فينفي عن الهيكل الكلي طابع المراكمة العشوائية، بل يكون كل عنصر كاللبنة في البناء، لا يقلق بها موضعها، ولا تنشز عن اللحمة التي تحتويها، تمهد للتي تليها، ويوطئ لها ما قبلها(١)، في قصدية من السارد قد تكون معلنة أو يعتريها نوع من المراوغة، يبتغي المؤول الوصول إليها والكشف عنها. وعلى هذا الذي تقدم، يكون علم السرد أو السرديات العلم الذي يحمل على عاتقه مهمة الكشف عن القوانين الناظمة للبنية الكلية، ممهدا الطريق للقارئ المؤول للوقوف على دلالات النص، إنه إذن يشتغل في مستوى ثالث من مستويات التشكيل، على اعتبار أن البنية السطحية أو الظاهرة التي يمثلها المعجم والتراكيب هي المستوى الأولى في اتجاه العمق، وأن البنية العميقة الأولى التي تمثلها الدلالات، وهي ليست جمعا للمفردات ولا تكديسا للتراكيب، هي المستوى الثاني، والمستويان معا لا يمكن أن يكون لهما حضور إلا في الخلفية التي تؤطر التشكيل عند المنشئ، كما تؤطر التأويل عند المتلقي في سيرورة لا متناهية.

---

(١) عبد العاطي كيوان: ملامح الخطاب السردي في قصص أحمد عبد العال، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط١، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م، ص: ٢٣.

إن وظيفة علم السرد، في نهاية المطاف، الوقوف على الروح التي تسكن الخطاب وتعطيه شرعية الوجود[١]، أي إن مهمته الكشف عن عنصر الانتظام الذي يسري في تضاعيف الخطاب بعيدا عن الجنوح التفسيري الذي قد يضيء بعض البنية الكبرى، لكنه يعجز عن إظهار كيفية تناسقها، بحكم إغراقه في الانطباعية المتصيدة لوجهة نظر المفسر التي تجد لها صدى في هذه الجزئية أو تلك.

يعتمل داخل السرد أجناس فرعية متعددة، لعل من أهمها النادرة، التي هي، في معناها الأكثر بساطة، كل حكاية "قصة قصيرة" تتسم بالخروج عن الرتابة، وبالشذوذ عن العادة، تثير بغرابتها وطرافتها مكامن المتلقي، فتدفعه إلى الضحك، أو السخرية والفكه. لكن الهدف الأسمى الذي ترمي إليه تربوي، مبطن ببعض الانتقاص والتعيير، لاعتبارات اجتماعية وأخلاقية، قد يضفي عليها السارد أحيانا مسحة دينية ضمانا لحسن موقعها وسهولة الاستجابة لها. لكنها من الناحية البنيوية تخضع لتقطيع رباعي غالبا يقوم على:

١_ الاستهلال أو المدخل، الذي يمثل توطئة لعالم الحكي، نطل من خلاله على الكون المتخلق شيئا فشيئا. فيمدنا بما يشبه الملخص المتسم بالتكثيف الشديد للمحتوى، أو الإيعاز بما ستؤول إليه مجريات القص، لاسيما إذا تضافر مع الختام أو القفل.

(١) ميجان الرويلي، سعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط٢، ٢٠٠٠م، ص: ١٠٥.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

٢_ والسرد أو العرض، الذي يعكس التدرجات السردية، والتخلق المتنامي لها، مهما كانت أشكاله وأساليبه[١].

٣_ والاحتجاج[٢]، وهو جملة البراهين المسخرة للإقناع، واستدراج القارئ للانخراط بسلاسة في رؤية السارد؛ باعتماد آليات حجاجية من

---

(١) كأن تتعدد زوايا النظرلأساليب السرد بتعدد أقطاب العمل السردي، فهناك أسلوب سردي باعتبار المخاطِب، بحيث يقدر فيه الكشف عن نفسية المخاطب وفكره وجملة مواقفه من القضايا والأشخاص وغيرها، كما قدر يقدر فيه المخاطَب بالنظر إلى جملة وسائل الضغط التي تمارس عليه، لذلك يعتبر "ستاندال" الأسلوب السردي من هذه الزاوية أن "تضيف إلى فكر معين جميع الملابسات الكفيلة بإحداث التأثير الذي ينبغي لهذا الفكر أن يحدثه". أما المنظور الثالث فمن زاوية الخطاب، إذ لا وجود لعبارة اعتباطية، ولا مكون يتسم بالحياد الكلي، فكل جملة متهمة بالانحياز لفكرة أو موقف بغية التأثير. يراجع عدنان بن ذريل، النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، اتحاد الكتاب العربي، دمشق، ٢٠٠٠م، ص:٤٣.

(٢) الاحتجاج سلوك مسلك الحجاج، والحجاج كما يرى ابن منظور هو اعتماد الحجة "يقال حاججته، أحاجه حجاجا حتى حججته أي غلبته بالحجج التي أدليت بها .. والحجة البرهان، وقيل الحجة ما دافع به الخصم، وقال الأزهري الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة، وهو رجل محاجج أي جَدِل، وفي الحديث: فحج آدم موسى أي غلبه بالحجة" لسان العرب، تحقيق عبد السلام هارون، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٨م، مج٢، ص:٥٧٠، مادة (ح.ج.ج). أما اصطلاحا فله إطلاق في مجال الفلسفة ويقصد به فن المناظرة وعلم الجدل الذي تعرف به وجوه الاستدلال على صحة المعروضات أو فساد معروضات الخصم، وهو ما عناه أبو الوليد الباجي بقوله: "وهذا العلم من أرفع العلوم قدرا وأنظمها شأنا؛ لأنه السبيل إلى معرفة الاستدلال، وتمييز الحق من المحال، ولو لا تصحيح الوضع في الجدل لما قامت حجة، ولا اتضحت محجة، ولا علم الصحيح من السقيم، ولا المعوج من المستقيم". المنهاج في ترتيب الحجاج، تحقيق عبد المجيد التركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٨٧م، ص: ٨. أما في مجال الدرس اللساني فيعرف (بيرلمان) و(تيتيكا) الحجاج من زاويتين مختلفتين، وإن جاء المفهوم شبه متطابق، أما الزاوية الأولى فباعتبار موضوع نظرية الحجاج، إذ مهمته من هذه الناحية "دراسة تقنيات الخطاب التي

طبيعة لغوية وبلاغية ومنطقية، على أنه ينبغي أن ندرك العلاقة التلازمية بين الخطاب عموما والسرد خصوصا وبين الحجاج، إذ ما يطبع الكلام هو صفته الخطابية، فلا كلام إلا في الخطاب، الذي يعد الحقل الأنسب والأمثل بل والضروري للحجاج، لذلك كانت الخاصية الحجاجية أبرز ما يميز الخطاب، أي إنه لا خطاب بلا حجاج، كما أنه لا حجاج إلا في الخطاب(١).

٤_ والخاتمة أو المخرج، الذي يعلن من خلاله السارد عن اكتمال الكون السردي، واستواء نسيجه، ووضوح مراداته فيه، وهي مقاصد يريد للقارئ أن يذعن لها.

لكن هذا التقسيم قد لا يكون مطردا، بالاحتكام إلى الموقف الخطابي في النادرة، وبحسب طولها، وبالنظر إلى طبيعتها بساطة وتركبا.

ليس ضروريا إذن أن يلتزم خطاب النادرة هذه الخطة الهيكلية بصورة مطردة، فأحيانا يجد السارد نفسه، بالنظر إلى مكونات الخطاب والعلاقات الناظمة له، مضطرا إلى طي عنصر ما من تلك العناصر، لقلة جدواه، والوقوع بذكره في الإطناب الذي يثقل الخطاب أكثر مما يخدمه ويقوم بأعبائه،

من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من طروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم. وأما الزاوية الثانية فباعتبار الغاية أو الوظيفة التي يجند لأجلها فعل الاحتجاج، وهي "جعل العقول تذعن لما يطرح عليها من آراء، أو أن تزيد في درجة ذلك الإذعان، فأنجع الحجاج ما وفق في جعل حدة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب". عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٧م، ص:٢٧.

(١) طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الرباط، ط١، ١٩٩٨م، ص: ٢١٣.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وسنقف عند أحد أهم العناصر الهيكلية في بناء النادرة لأهميته، مع أنه لا يعد ركنا أساسيا ينبغي تواتره في كل نادرة، كما سلف البيان، وهو عنصر الاستهلال، وما تعريجنا عليه إلا لقيمته في إحداث التواصل تمهيدا للعرض.

إن الاستهلال هو التوطئة التي يتخذها السارد للولوج إلى عالمه الخطابي، ويكون إما من إنشائه هو، أو حكاية عن أحد فواعله السردية، وتكمن أهمية الاستهلال في عقد الألفة بين القارئ وبين الكون الخطابي، فلا يلجه فجأة من غير مقدمات.

من هذا المنظور، يعد الاستهلال إذن العنصر الباني لهيكل الحكي، وإطاره المنبئ عن محتوى القص؛ بحيث يتحول إلى عتبة[١] ــ تماما كالعنوان ــ هي بمثابة نص موازي يستعان به في التأويل، ويختصر للمتلقي مضمون النادرة، ويلقي إليه بها مركزة، في شكل عبارة واحدة أو جملة عبارات، تكتسي في بنية أي خطاب أهمية المقدمات، التي تساعد "على تحديد موضوع النص وقضاياه المركزية بشكل أكثر دقة مما يتسم به العنوان من عمومية"[٢]. فالاستهلال، على هذا، أحد المكونات الممكنة

(١) يعرف محمد بنيس العتبات بمفهومها الشامل بأنها كل "العناصر الأولية الموجودة على حدود النص ، داخله وخارجه في آن، تتصل به اتصالا يجعلها تتداخل معه إلى حد تبلغ فيه درجة من تعيين استقلاليته، وتنفصل عنه انفصالا يسمح للداخل النصي، كبنية وبناء، أن يشتغل وينتج دلاليته" الشعر العربي الحديث، بنياته وإبدالاته التقليدية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، "١، ١٩٨٩م، ص: ٧٦.

(٢) مليكة غبار وآخرون: الحجاج في درس الفلسفة، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠٠٦م، ص: ١٤.

للخطاب الإقناعي في عالم السرد[١]، يحمل عبء مهمة جعل القارئ "منتبها متقبلا ومرحبا، ويتم ذلك وغيره بفضل مواضع التقديم"[٢]، الذي يتناسب، حينما يفضل إيراده، مع طول النادرة.

الحجاج نماذج ووظائف:

يتضح لدينا مما تقدم أن الاستهلال يتخذ عامل ضغط على المتلقي، وقوة توجيه لموقفه، من باب مصادرة الرأي عند أول اتصال بعالم الخطاب، من خلال دور "التأطير" التداولي الذي يلعبه، لأنه ــ من جهة كان إحدى العتبات المحيطة الداخلية أو المحايثة كما سماها بارنار فاليت Bernard valette[٣] يعد ظاهرة "لا تبوح بكل مدلولاتها ولا تجلي ما هي حاملة له، فمدلولها كامن في منطق تكونها وفي ما تشي به من معان ودلالات كامنة غير تلك الظاهرة"[٤]، وهذا قد يصدقه مبدأ الإذعان الذي يبديه القارئ أو المؤول طمعا في الوصول إلى الارتباطات التي يعقدها السارد للاستهلال النصي مع النص المركزي، وهو لب المقصدية الخطابية في النادرة، وليس هذا التعرف إلا وقوفا على الدلالات الخفية التي يبطنها النص ويفصح عن

(١) يرى أرسطو "أن التقسيم الملائم هو الذي يقوم على ذكر الموضوع أو القضية، ثم البرهنة أو الدليل، وأولى ذلك كله العرض والدليل. وبشيء من التسامح يمكن إضافة الاستهلال والخاتمة، حين نتوخى منهما فائدة، فالأجزاء الكائنة والمحتملة هي الاستهلال، العرض، الدليل، الخاتمة" البلاغة العربية، أصولها وامتداداتها، ص: ٢٧١.

(٢) هنري بليث: البلاغة والأسلوبية، ترجمة محمد العمري، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء ١٩٩٩م، ص: ٤٥.

(٣) - Esthétique du roman , édition Nathan, 2éme édition, Paris, 1993, p : 147.

(٤) عبد الملك أشهبون: عتبات الكتابة الروائية، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، ط١، ٢٠٠٩م، ص: ١٠.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بعضها الاستهلال من خلال ارتباطاته تلك. ولبيان بنيات الاستهلال وأدوراها الحجاجية فقد اخترنا عينات لها تتسم بالعشوائية من كتاب البخلاء للجاحظ:

١ــ " ومن أعاجيب أهل مرو ما سمعناه من مشيختنا على وجه الدهر، وذلك أن رجلا من أهل مرو كان لا يزال يحج ويتجر، وينزل على رجل من أهل العراق، فيكرمه ويكفيه مؤونته، ثم كان كثيرا ما يقول لذلك العراقي: ليت أني قد رأيتك بمرو، حتى أكافئك لقديم إحسانك، وما تجدد لي من البر في كل مرة. فأما ههنا فقد أغناك الله عني"(١).

فهذه مقدمة تقابل، من الناحية المنطقية، "قول الانطلاق" في بناء القضايا، وهي استقطاع لما كان في الماضي، مضمنا دلالة المزاولة والاستمرارية، مبنيا على تدرج هرمي من العام إلى الخاص، ومن المجمل إلى المفصل، لكنه تفصيل يعد تكثيفا هو الآخر بالنسبة إلى الحوارية المتأسسة بعده بين الرجلين عن مسيس الحاجة، وفي موضع الاضطرار.

ما يشد الانتباه هو أن المقدمة عرضت بصفتها "معطى"، يستند إليه الحكي، كما يستند إليه المتلقي في تقييم الموقف، ويلجأ إليه لإصدار رؤاه التقويمية، باعتباره حَكَمًا بين الرجلين، اللذين يُجَرَدان من منظور كونهما نموذجين ضديين؛ بعيدا عن التشخيص والتعيين : الكريم في مقابل البخيل الذي يأبى إلا أن يتجاوز البخل إلى اللؤم، وجحد الخير، والتنكر لصنائع المعروف. غير أن العدول عن الخاصية "التأشيرية" التي تفترض من حيث المبدأ تعيين المتحدث عنه ولو بدرجة ما إلى "الاستعمال الوصفي" الذي

(١) ــ الجاحظ: البخلاء، تحقيق محمد الإسكندراني، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٣٣هـ ٢٠١٢م، ص: ٤٥، نادرة "قصة العراقي مع المروزي"

تمثله العبارة "رجلا ــ رجل" الخاليتان من أي درجة من درجات التحديد لا يمكن حمله إلا على العموم لبناء النموذجية في مجال الصفة(١)، وإيهاما بأنه ليس هناك شخص محدد باسمه يقصده السارد، والأمر كذلك حقا، لأن القصد إلى التشنيع على البخل أيا كان صاحبه. والإشادة بالكرم مهما يكن المتصف به، ولا شك أن هذه مهمة تناط بالمستمع أوالمؤول من منطلق مبدإ التعاون، بأن يقف على الحمولة التي يريد المخاطب تبليغها(٢)، وإن لم تنطق بها العبارة، تحت قانون التضمين، الذي يعني أن يحاول المخاطِب جاهدا إيصال مضمون أكثر مما تقوله ألفاظه، كل ذلك زيادة في الفائدة(٣).

(١) ولا يعني إتباع كلمتي [رجل ــ رجلا] بالمركب النحوي الوصفي [من أهل مرو ــ من أهل العراق] التعريف، وليس الإتباع إلا إشارة إلى المكان ليتسق المذكور مع مرادات الجاحظ في هذه النادرة وفي غيرها، كما يصرح به في بعض المواطن من كتاب البخلاء، من أن البخل صار جوهرا في كل مرو ساكنة وحيوانات وترابا وهواء وماء.

(٢) تنص سيمولوجيا التواصل في مقابل سيميولوجيا الدلالة على أن القصد مكون أساسي في أي عملية تواصل، وعلى هذا جعلوه الضلع الثالث في مثلث العلامة اللغوية [دال، مدلول، قصد]، على أن القصد قصدان، قصد يرتبط بالمتكلم، ويعني ما يضمره في نفسه ويشكل لأجله الخطاب، وقصد يرتبط بالمتكلم، ويتمثل في سعيه نحو تحصيل ما يريد منه المتكلم أن يعلمه أو يقتنع به. أما سيميولوجيا الدلالة فالمعتبر فيها هو الدلالة بغض النظر عن شرط القصد.

(٣) جورج يول: التداولية، ترجمة قصي العتابي، دار الأمان، الرباط، ط١، ١٤٣١هـ ــ ٢٠١٠م، ص: ٦٥.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

لقد مال الجاحظ ــ مراعاة لقصر البناء السردي للنادرة ــ ولو من الناحية اللغوية الشكلية، بغض النظر عن الخطابات المضمرة[١] ــ إلى عبارة هي بمثابة افتتاح للاستهلال:

"ومن أعاجيب أهل مرو ما سمعناه من مشيختنا"

وهو تحويل عن بنية أخرى متاحة تركيبيا يمكن التعويل عليها والعدول إليها، وهي:

"ومما سمعناه من مشيختنا من أعاجيب أهل مرو"

لما في تقديم المسند "من أعاجيب أهل مرو" على ما أسند هو إليه، المركب تركيبا موصوليا "ما"، المفيد للعموم والإجمال لغاية الإغماض، ليفتح مجال التأويل عند المتلقي واسعا، ويُذْهَبُ به فيه كل مذهب. ثم إن الخبر المروي ليس هو العجب الوحيد، بل هو واحد من أعاجيب كثيرة ملحقة بأهل مرو.

لا شك في أن الجمع بين الإبهام الموصولي، مع عدم التعيين اللذين يفيدهما "ما"، وما ألحق به في أداء دور الصلة "سمعناه"، يقتضي التوثيق للأحداث الجارية روايتها، فليست من محض التقول والافتراء، بل هي منقولة بالتثبت مع صحة مصدرها وعدالة ناقليها "مشيختنا"، فالاستهلال في موقعه مع تركيبته المزدوجة، إلى جانب طبيعة التركيب مع التثبت والتوثيق، كلها عوامل أسهمت في حمل المتلقي على الإذعان للملفوظ من بعد.

---

(١) الخطاب المضمر هو المسكوت عنه، لكنه يفهم ضمنيا من سياق الكلام، ليكون كم الدلالات المنقولة أكبر من العبارات الناقلة. كالذي يستشف من العبارات الوصفية في المثال قيد التحليل من عموم هو القصد المتبادر إلى الذهن أن السارد قصده.

لقد صار القسم الأول من الاستهلال مستخلصا، يختصر للمتلقي مجمل النادرة، ويلقي إليه بحمولتها في صورة مركزة، وقد تعاضدت في بناء هذا الصرح الإشاري ذي الغرض الحجاجي جملة مؤشراتتدل على حجية النادرة:

أ ــ عجائبية المضمون: من أعاجيب ...

ب ــ عدالة الناقلين، ووثوقية الخبر؛ من خلال التلقي المباشر للسارد كما تنطق به عبارة "ما سمعناه" ممن هم أهل لثقته الذين لهم في الناس وجاهة وقدر، ولهم ضبط وتحر، فلا يتقولون ما لم يتثبتوا منه، وهذا مستند يمتزج فيه الاجتماعي بالديني.

ج ــ تواتر النقل وصحته، وعدم اعتلاله بالانقطاع ، وفق ما جرت به عبارة "على وجه الدهر"، ولا يُتَواتر إلا ما له فرادة في بابه وخصوصية في جنسه، إما إيجابا أو سلبا.

أما ما يؤديه ما بعد المقطع الافتتاحي من الاستهلال، فوضع يد المتلقي على طبيعة العلاقة المستقبلية بين النموذجين: الكريم ــ البخيل، واطلاعه على التحول القادم في نسق الحوارية بينهما، خاصة ما تضمنته عبارة المروزي: "أما ههنا فقد أغناك الله عني"، لتنسجم هذه الانعطافة؛ كونها تمهيدا للنتيجة، مع مضمون الخاتمة الصريحة في نهاية الحوارية الدرامية:

ــ "لو خرجت من جلدك ما عرفتك"

ولا شك في أن لعنصر الغرابة والدهشة المتولدتين من بين المطلع العجائبي في الاستهلال وما يليه، وبين الانعطافة المتدرجة: "أما ههنا" والانعطافة الحادة "لو خرجت.." دور لا يستهان به في الحجاج وتحقيق

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الإقناع، المتأتيين من التعرف، علما أن التعرف الذي يستنبط من مجاري الأحداث يعد ــ من منظور أرسطو(١) ــ أقوى أنواع التعرفات، وأعمقها أثرا في الحمل على الموقف والاستمالة إليه. ليكون الاحتجاج متحددا، كما مر معنا مع "بيرلمان"، بعاملين لا ينفصلان، عامل الآليات أو التقنيات التي يجندها الخطاب، وعامل الوظيفة المنوطة به، وهي جعل العقول للقضايا، وجعل النفوس تنقاد لما يعرض عليها.

٢ـ"وقال أبو إسحاق إبراهيم بن سيار النظام: دعانا جار لنا، فأطعمنا تمرا وسمن سلاء، ونحن على خوان ليس عليه إلا ما ذكرت، والخراساني معنا يأكل"(٢).

وهذا نموذج يكون فيه الاستهلال مقتصرا على الإسناد وإجمال مجريات القصة، تمهيدا لما يدرج فيها من حوارية، يكون هدفها بيان صفة البخل وحال البخيل، وقد استغرق ما يقرب من ثلثي النادرة.

٣ ــ كما قد يقتصر على الإسناد وحده، تعويلا على حجية الراوي، ووزنه الاجتماعي والمعرفي، مما يضمن واقعية القصة وأنها ليست ضربا من خيال أو محض اختلاق، كما هي حال كثير من النوادر، كقوله في قصة مقلى الخراساني:

---

(١) يذكر أرسطو أنوعا خمسة للتعرف، وهي التعرف بالعلامات الخارجية، والتعرفات التي ينشئها الشاعر، والتعرف بالتذكر، والتعرف المعتمد على القياس، والتعرف المتأتي من خطأ استدلال الجمهور، والتعرف المحصل من الوقائع والأحداث وتحديدا في لحظة وقوع الدهشة وحصول المفارقة. ينظر: البلاغة العربية، أصولها وامتداداتها، ص: ٢٤٣.

(٢) البخلاء، نادرة طلاق بسبب غسل خوان، ص: ٤٧.

ــ حدثني أبو إسحاق إبراهيم بن سيار النظام قال: قلت مرة لجار كان لي من أهل خراسان: أعرني مقلاكم"[١].

٤ ـ غير أن السارد قد يجنح إلى الاستهلال القائم على مؤشرات حكائية غامضة، كلفظة "زعموا"، نحو قوله في نادرة "المشاركة في طبخ اللحم":

ــ "زعموا أنهم ربما ترافقوا وتزملوا، فتناهدوا وتلازموا"[٢].

الأمر الذي يوحي بأن الخبر غامض غموض الرواة، مما يطعن في صدقيته ووثوقيته، مع أن المسرود لم ترد فيه قصة، وإنما هو في الواقع إخبارات عن سلوك البخلاء، ومبدأ "التخفيض" المعتمد هنا يشتغل على الناحيتين معا، مراعاة لحالة المخاطَب.

فالقص، خاصة ما كان حواريا، يتطلب نسبة وتقوية وإثباتا للصحة. أما الإخبار، فيكفي فيه مجرد الإسناد، ولو كان غامضا، ولعل في نقل السارد له تقوية لضعفه، فلا يتطلب المتلقي إثباتات كما يتطلبها في القص؛ حيث معلومية الأحداث والشخوص والحوار والزمان والمكان.

٥ ـ على أنه قد ينصرف في الاستهلال كلية عما ذكر من خواص، إلى مجرد لعب البطل على اللغة، فيما ينقله السارد من أقوال غيره، ولنا في "وصية بخيل" شاهد ماثل لتلك الآلية في الاستهلال، فقد اختصره البطل البخيل فيما شأنه أن يجعل القارئ ـ المخاطَب منتبها، متقبلا، مرحبا:

---

(١) نفسه، ص: ٤٦.

(٢) نفسه، ص: ٤٦.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ـ أي بني!.[١] مكرر مرتين.

فكان المركب الندائي الذي أخرج مخرج نداء القريب؛ باعتبار أن المنصوح ـ الابن ـ بجوار الناصح والدِه البخيلِ، وقد اجتمع في المؤشر الاستهلالي: أي، لما فيها من التنبيه، مع المنادى الذي كان بالإمكان استعماله وحده، تعزيزا لفعل الإثارة والاستقطاب، وتحريك المخاطَب ليجند كل قواه الإدراكية، فكانت الإثارة المزدوجة، دون أن ننسى الخاصية التأليفية في المنادى، وهي تأليفية ركزت على عنوان القرابة، وطبيعة الصلة التي تربط طرفي الخطاب، صلة تقوي عوامل التقبل لدى الولد المنصوح؛ لأن فيها إشعارا بالحنو والحرص على ما ينفع، والتوجيه إلى ما يفيد، فعنوان "البنوة" المضافة إلى ضمير المتكلم يعد أفضل مدخل لوضع المخاطب في أجواء النادرة "الوصية"، وأبرزَ ضامن لحسن التأثير وسرعة الإقناع دون عناء.

أما تكرارها، فلأن النادرة تتألف من قسمين: قسم أول يمثل الدعاوى من منظور الوالد، وقسم ثان هو بمثابة التأويل الذي يدعم تلك الدعاوى، ويبرهن على صحتها، كما يمثل عامل انسجام خارجي، يؤدي دور الشاهد على صحة مذهبه في الحفاظ على المال من منظور الوالد، وهو عين البخل من منظور العرف الاجتماعي، نظير ما يؤديه الشهود والقوانينوالاعترافات والأمثال والحكم، وهو من ثم يندرج تحت الحجج الجاهزة أو غير الصناعية، وفق الاصطلاح الأرسطي[٢].

---

(١) السابق، صص: ١٣٠، ١٣١.

(٢) محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠٠٢م، ص: ٩٠.

إن ما يرجح مذهبنا في أن العبارة الندائية الإفصاحية بانية للتنبيه والتمهيد للاستمالة والتوطئة للإقناع _ ومن ثم الخروج من الدلالة العرفية للملفوظات؛ أي مستوى المنطوق، أو دلالة فعل القول، إلى أداء دور بقية العوامل غير اللفظية كالإشارة وغيرها، التي تحافظ على ربط التواصل والحفاظ على ديمومته، والحرص على عدم انقطاعه _هو تكرارها المشار إليه للتو بين موضوعين في وصية واحدة. فكأن المخاطِب يقدر إمكانية حدوث الانقطاع بالانتقال من موضوع إلى آخر مغاير في تفاصيله، وإن اتحد معه في الهدف والغاية، فرأى من الضروري التنبيه إلى هذا الانتقال استهلالا متجددا، وتهيئة ثانية لاستقبال المضمون الإخباري وطرق بنائه حجاجيا، ومتى أحسن المتكلم تنبيه المستمع إليه وهيأه لتلقي ما سيلقيه إليه ضَمِنَ الأثر؛ لأن المخاطب _ كما يقول أبو هلال العسكري _ "إذا لم يحسن الاستماع لم يقف على المعنى المؤدي إليه الخطاب، والاستماع الحسن عون على إفهام المعنى"(١)، ومدار ذلك الفهم عند المستمع على الإفهام المنوط بالمخاطِب، مع اشتراكهما في المهمة والفضل، "إلا أن المفهم أفضل من المتفهم وكذلك المعلم والمتعلم"(٢)؛ من جهة كان السببَ الأولَ الذي عول عليه المستمع، وحصل له المقصود من ناحيته، إنما هو حسن انتقاء المتكلم لكلامه، وجودة صياغته، وبذل العون له، وتيسير الفهم عليه، ومن ذلك وسائل التنبيه والإثارة التي منها في حالة المقطع الندائي لفظ "بني" المتسبب في تهييج مشاعر المستمع، وإثارة عواطف المنصوح، وهو ما يعد فعلا

(١) الصناعتين الكتابة والشعر، ص: 22

(٢) البيان والتبيين، شرح وتعليق علي أبو ملحم، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م،ج١، ص ٣٤.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ناتجا عن القول[١]، يكتسب خاصيته التأثيرية من طبيعة القرابة الشديدة، القائمة على التولد والتخلق، فلاشيء يجري في هذا المجال من أعلى إلى أدنى إلا وهو يكتسي خاصية الصدقية، الموجبة للاقتناع والتسليم مطلق الاتباع.

(١) ــ يعد القول التأثيري أحد المكونات النوعية للفعل الكلامي وهي: فعل التلفظ، والفعل الإنجازي، والفعل التأثيري. ينظر عبد الله بن ظافر الشهري، الخطاب الحجاجي عند ابن تيمية، مقاربة تداولية، دار الانتشار العربي بيروت، نادي أبها الثقافي، ط١، ٢٠١٣م، صص: ٢٨٣، ٢٨٤.

الخاتمة

بعد هذه النظرات العجلى في أنواع الاستهلال ودوره في بناء صرح الحجاج داخل الخطاب، يمكن الخلوص إلى نتائج أهمها:

١ ـ الاستهلال عامل هيكلي مهم في النادرة، خاصة إذا أسندت إليه مهمة الإقناع بالقضايا المعروضة.

٢ ـ تتعدد أشكال الاستهلال في علاقتها بالسارد والمسرود والمؤول إلا أن المتغير الثابت فيها هو صياغة الحجة والتماس أقصر الطرق وأنجعها لإيصالها.

٣ ـ يرد الاستهلال متأسسا على القص الأقرب إلى الواقعية لما فيه من نسبة الأقوال إلى أشخاص معلومين وموثوق بهم، لتتلقى مضامينها بالقبول لصحتها المتأتية من الإسناد.

٤ ـ قد يتحول تبني السارد ـ بالنظر إلى وزنه المعرفي ومركزه الاجتماعي ـ للأخبار الغامضة غير المسندة عاملَ تقوية وتصحيح في حد ذاته، فيقنع المتلقي بثقل السارد دون التفاصيل، ومن ثم وينقاد له في ما يدعيه.

٥ ـ قد لا يكون الاستهلال من قول السارد، بل من الممكن أن يكون مفتتحا مختصرا لأقوال بطل القصة الساخرة، يطوع فيه اللغة وحدها في ـ ارتباطها بمصاديقها التداولية لا سيما علاقات القرابة ـ وسيلة لسد كل منافذ الروغان لدى المتلقي وإرغامه على التصديق التام والخضوع الكلي للمضمون القضوي.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ملحق بمصادر البحث ومراجعه:

١ ـ إبراهيم أنيس وآخران، المعجم الوسيط، منشورات مجمع اللغة العربية القاهرة، ومكتبة الشروق الدولية، ط٤، ٢٠٠٤م.

٢ ـ إيمان محمد أحمد ربيع وعامر محمود محمد ربيع:البنية الاستهلالية الأصمعي أنموذجا، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، العدد ٣٩، حزيران ٢٠١٨

٣ ـ الباجي، أبو الوليد: المنهاج في ترتيب الحجاج، تحقيق عبد المجيد التركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٨٧م

٤ ـ الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب:

أ ـ البخلاء، تحقيق محمد الإسكندراني، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٣٣هـ ٢٠١٢م.

ب ـ البيان والتبيين، شرح وتعليق علي أبو ملحم، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

٥ ـ جورج يول: التداولية، ترجمة قصي العتابي، دار الأمان، الرباط، ط١، ١٤٣١هـ ٢٠١٠م،

٦ ـ عبد الله بن ظافر الشهري، الخطاب الحجاجي عند ابن تيمية، مقاربة تداولية، دار الانتشار العربي بيروت، نادي أبها الثقافي، ط١، ٢٠١٣م

٧ ـ العسكري، أبو هلال : الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق محمد علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية بيروت، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م

٨ _ ابن طباطبا أبو الحسن محمد بن أحمد: عيار الشعر، تحقيق عباس عبد الساتر، مراجعة الساتر، مراجعة نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م

٩_ طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الرباط، ط١، ١٩٩٨م

١١_ عبد الله بن ظافر الشهري، الخطاب الحجاجي عند ابن تيمية، مقاربة تداولية، دار الانتشار العربي بيروت، نادي أبها الثقافي، ط١، ٢٠١٣م

١٣ _ عبد العاطي كيوان: ملامح الخطاب السردي في قصص أحمد عبد العال، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط١، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م

١٤ _ عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٧م

١٥ _ عبد الملك أشهبون: عتبات الكتابة الروائية، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، ط١، ٢٠٠٩م

١٦ _ عثمان بن طالب وآخرون: تأسيس القضية الاصطلاحية" بيت الحكمة، قرطاج، تونس، ١٩٨٩م

١٧ _ عدنان بن ذريل، النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، اتحاد الكتاب العربي، دمشق، ٢٠٠٠م

١٨ _ القرطاجني حازم: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق الحبيب بن الخوجة، الدار العربية للكتاب، تونس، ٢٠٠٨م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

١٩ _ ماري ــ كلود لوم: علم المصطلح مبادئ وتقنيات، ترجمة ريما بركة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط١، ٢٠١٢م

٢٠ _ محمد بنيس: الشعر العربي الحديث، بنياته وإبدالاته التقليديـــة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، "١، ١٩٨٩م

٢١ _ محمد العمري،

أ _ البلاغة العربية، أصولها وامتداداتها، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠١٠م.

ب _ في بلاغة الخطاب الإقناعي، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠٠٢م

٢٢ _ مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة، الكتاب الجديد المتحدة، ليبيـــا، ط١، ٢٠١٠م

٢٣ _ مليكة غبار وآخرون: الحجاج في درس الفلسفة، أفريقيـــا الشـــرق، الدار البيضاء، ٢٠٠٦م.

٢٤ _ ابن منظور: لسان العرب، تحقيق عبد السلام هـــارون، دار صـــادر، بيروت، ط١، ١٩٩٨م

٢٥ _ ميجان الرويلي، سعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، المركـــز الثقـــافي العربي، الدار البيضاء، ط٢، ٢٠٠٠م

٢٦ _ هنري بليث: البلاغة والأسلوبية، ترجمة محمـــد العمـــري، أفريقيـــا الشرق، الدار البيضاء ١٩٩٩م

2 7-Bernard valette : Esthétique du roman , édition Nathan, 2éme édition, Paris, 1993.

28 _ Ferdinand De Saoussure : Cours de linguistique générale, publié par Charles Bally Sechehaye, Payet, Paris 1931.

فهرس الموضوعات

م	الموضـــــوع	الصفحة
١.	**ملخص**	١٣٣٥
٢.	Abstract	١٣٣٦
٣.	**المقدمة**	١٣٣٧
٤.	**مفهوم الاستهلال**:	١٣٣٨
٥.	**السرد والتنميط الخطابي**:	١٣٤٤
٦.	**الحجاج نماذج ووظائف**:	١٣٤٩
٧.	**الخاتمة**	١٣٥٩
٨.	**ملحق بمصادر البحث ومراجعه**:	١٣٦٠
٩.	**فهرس الموضوعات**	١٣٦٣

تم بحمد الله